الأحد 15/12/2013 **الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال**

أبواب الفرج

رعاية الضعيف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

على كل منا أن يجتهد في طَرْقِ باب من هذه الأبواب فمن استطاع منا أن يستفتح من حضرة الله تعالى الفرج بقرع الأبواب كلها فليفعل، فإذا لم يستطع فبأكثرها، فإن لم تستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن تقرع باباً من هذه الأبواب فإن الله تعالى إذا رآنا جميعاً ملتجئين إليه ضارعين ملتزمين أمره باحثين عن الفرج وطالبين ذلك منه فإن عادته جل جلاله أنه لا يخيب قاصديه ونحن نقصد رب العالمين.

سبق معنا أن الضراعة إلى الله تعالى، والتعاون بين الناس، وإطعام الطعام، وتقوى الله من أبواب الفرج وحديث اليوم عن باب جديد من أبواب الفرج وهو **رعاية الضعيف**.

جرت عادة الصالحين والأولياء ومن لهم سر عند الله عز وجل أن يكون لكل واحد منهم ضعيفاً يخدمه ويرعاه فهم يستنصرون، ويسترزقون، ويسألون الله عز وجل حل عسير أمورهم بهم، ومن زمن قالوا في المثل: **المركب الذي لا شيء فيه لله يغرق**؛ لذلك تجد أصحاب المراكب المادية أو المعنوية يبحثون في كل رحلة أو مسير أو ممشى يمشونه عن نافذة يجعلونها لله تعالى وهي نافذة خدمة عباد الله الضعفاء.

قال تعالى في قرآنه الكريم: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: 20] فالله يختبرنا ببعضنا فجعل منا القوي ومنا الضعيف، منا الغني ومنا الفقير، منا

الصحيح ومنا المريض، منا العالم ومنا الجاهل... وكان الله بصيراً على العباد ينظر ما يفعلون، ويسجل لديه ما يجترحون ويعملون ثم يجزي بالإحسان إحساناً وبالسوء بما يناسبه.

ودليل هذا الباب ما رواه سيدنا أَبِو الدَّرْدَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اَ بْغُونِي ضُعَفَاءَكُمْ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ» [أبو داود والترمذي]، فالنصر والرزق يأتي ببركة هؤلاء الضعفاء.

وهذا الحديث ورد بروايتين:

أ. **أُبغوني**: من فعل (بغى) بمعنى (طلب) أي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يوصي صحابته الكرام أن يطلبوا له طلباً حثيثاً باحثين له عن الضعفاء؛ ليسعى في خدمتهم فببركتهم يكون النصر والرزق.

ب. **اَبغوني**: من الفعل الرباعي (أبغي) أي (أطلب) فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سأطلب بنفسي وأعينوني على ذلك، وكلا المعنيين متكاملين.

قال بعض شراح الحديث: الضعيف إذا رأى عجزه وعدم قوته تبرأ من حوله وقوته مخلصاً مستعيناً بالله فتجده إذا دعا يدعو بحرقة واضطرار وحاجة فكانت له الإجابة ﴿كَم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 249] وهذا بخلاف القوي الذي يظن أنه يغلب الرجال بقوته فتعجبه نفسه فكان ذلك سبب الخذلان كما أخبر الله تعالى ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: 25]، وقد يدعو شاب قوي فيقول: اللهم إني ضعيف، ولكنه بينه وبين نفسه لا يرى ضعفه شديداً، وكذلك الغني يصف نفسه بالفقر ولا يجد نفسه في تلك الدرجة، وكذلك صاحب الذكاء، والجاه... لذلك ببركة دعاء الضعيف وبخدمتك له يكون الله معك ويعينك سواء بفرجٍ خاصٍ للأسرة، أو فرجٍ عامٍ للأمة.

عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ، قَالَ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ الْمُهَاجِرِينَ**» [الطبراني]، أي بفقرائهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ، فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ – لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ

فِي السَّحَابَةِ – فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ» [مسلم].

بِمِسْحَاتِهِ: سحا الطين: قشره وجرفه، والمسحاة ما سحي به.

أحياناً يقال: اللهم نسألك بسر الشيخ الفلاني أن تفرج عنا، أو يقولون: فلان الفلاني قدس سره، والمراد بالسر في هذه العبارات: هو سر بينه وبين رب العالمين من عمل صالح.

كان بعض الرعاة يمرون من أراضي بعض المزارعين، فكان المزارعون يزجرونهم وينهرونهم إلا أن أحد الفلاحين صنع مجراية للماء، وجعل منطقة خاصة زَرَعَ فيها طعاماً خاصاً ليأكله الغنم فكانت الأغنام تأكل وتشرب فيها، ثم مضت بضع سنين عجاف جفت فيها آبار المنطقة كلها إلا بئر هذا الرجل لم يجف.

فإذا كان الله يرزقنا ببهيمة عجماء فما بالك بخدمة إنسان؟!

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، **أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ خَرَجَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ فَرَأَهُ طَلْحَةُ، فَذَهَبَ عُمَرُ فَدَخَلَ بَيْتًا ثُمَّ دَخَلَ بَيْتًا آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ طَلْحَةُ ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ فَإِذَا بِعَجُوزٍ عَمْيَاءَ مُقْعَدَةٍ، فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَذَا الرَّجُلِ يَأْتِيكِ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ يَتَعَاهَدُنِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا، يَأْتِينِي بِمَا يُصْلِحُنِي، وَيُخْرِجُ عَنِّي الْأَذَى، فَقَالَ طَلْحَةُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا طَلْحَةُ أَعَثَرَاتِ عُمَرَ تَتَبَّعُ؟** [حلية الأولياء لبي نعيم].

عن محمد بن إسحاق قال: (**كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم. فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل**) [صفة الصفوة لابن الجوزي].

إذا أكرم الله أحدنا بإنسان ضعيف يستطيع أن يخدمه ولو بأمر بسيط فليفعل ولا يتأخر فهو باب وسرٌ من عطايا الله لزيادة قرب منه جل جلاله.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ صُفُوفًا، فَإِذَا أَهْلُ النَّارِ صُفُوفًا، فَيَنْظُرُ الرَّجُلُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ النَّارِ إِلَى الرَّجُلِ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهُ: يَا فُلَانُ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اصْطَنَعْتُ إِلَيْكَ فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: اللهُمَّ إِنَّ هَذَا اصْطَنَعَ لِي فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: خُذْ بِيَدِهِ**

فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللهِ» قَالَ أَنَسٌ: أَشْهَدُ أَبِيّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُهُ [البيهقي في الشعب].

مهما استطاع أحدنا أن يكون له سر بينه وبين الله فليفعل

أحد مشايخنا جاوز التسعين من العمر وما زال:

- محتفظاً بقوة تقارب قوة الشباب، فتراه يسير وحده بلا مساعدة، ولا يضع نظارة، وأسنانه وسمعه كما هو، ولا يحتاج إلى أدوية.

- وكان له جاه في البلد.

- وقد أنعم الله عليه بمال وافر.

- ويحمل شهادة جامعية من أكثر من ستين سنة في وقت قلت فيه الشهادات أو حتى كادت أن تنعدم، ثم حصل على شهادة جامعية ثانية.

- وكان كثير الرؤيا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

عاد من الحج فذهبت مع مجموعة من الإخوة إليه فقال لنا: يا شباب طيلة يوم عرفة كنت أناجي ربي فأقول: يا رب أغرقتني بنعمك فدلني على عمل أشكرك فيه، ومع غياب شمس نهار يوم عرفة كأن خاطراً ورد علي أن: إذا أردت أن تشكرني فاخدم عبادي.

ثم التفت إلينا وقال: أرجوكم إذا كان لأحد حاجة فليطلبها مني لأخدمه بنفسي.

فإذا جعل الله على يديك قضاء حاجة إنسان أو تيسير أمره فإن هذه رتبة عظيمة تجد بركتها في الدنيا أو تدخر لك إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: 38] فللمسكين وللضعيف حق عندك.

عَنِ جَرِيرِ بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوِ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: 1] **إِلَى آخِرِ الْآيَةِ،** ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1] **وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ:** ﴿اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ [الحشر: 18] «تَصَدَّقَ

رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ –حَتَّى قَالَ– وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» [مسلم].

فلينظر كل منا إلى من يحتاج وقد يكون جارك أو أخاك أو ابنك أو صديقك أو صهرك... فابذل لهم ما استطعت وهذا البذل سيزيدك رفعة.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ» [الطبراني في الأوسط].

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العلمين.